أحمد محرم

١٨٧١ — ١٩٤٥

شاعر ملهم ، من شعراء الوطنية والأخلاق ، كان أدباء الجيل يضعونه فى صف حافظ ومطران ، وكان شيخ الشعراء إسماعيل صبرى يتغنى بشعر هؤلاء الأربعة و يطيب له التحدث عنهم ، وامتاز محرم إلى جانب مكانته الشعرية بحرارة العاطفة ، وتذوقه للفن والجمال ، وقوة إيمانه ، وتأملاته العميقة الفلسفية ، واستمساكه طول حياته بمبادئه الوطنية ، فكان شعره كله وقفاً على هذه المبادئ ، لم ينحرف عنها يوماً فى قصيدة أو فى أى بيت من الشعر ، ظل مقيما عليها وفياً لها فى السراء والضراء ، فكان حقاً مثلا أعلى فى الشعر والوطنية ، وكان مصطفى كامل يعجب به و بشعره ، و يشيد به على صفحات (اللواء) ، و يسميه (نابغة البحيرة) ، و بقى أحمد محرم على صلته به ووفائه له ولذكراه ، كما ظل وفياً لمبادئ الوطنية إلى أن توفاه الله فى ١٣ يونيه سنة ١٩٤٥ .

كان شاعراً بفطرته وسليقته ، قال الشعر وهو فى سن مبكرة . ومعلّقته التى يقول فى مطلعها :

منازل سلمى لا عدتك الغمائم وإن درست بالجزع منك المعالم

قد نظمها وهو فى السادسة عشرة من عمره .

وطنيته فى شعره

تتجلى روحه الوطنية التى ألهمته الشعر أكثر ما تتجلى حين أصدر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨ ، فقد أهداه إلى (النيل) ، وكتب كلمة الإهداء فى عنوان الكتاب

هدية النيل) ، وأعقبها بهذا البيت الذى يترجم عن وطنيته الأصيلة مخاطباً النيل قال :

وَهَبْتُكَ مُلْك القريض العتيـد وذلك أفضـــل ما يوهبُ

وقال فى مقدمة ديوانه يشرح المعنى الذى استوحاه فى إهداء ديوانه إلى النيل :

« لقد جرى أكثر الكتاب والشعراء على أن يهدوا مؤلفاتهم إلى من شاؤا من ذوى الثروة والجاه تعرضاً لمؤازرتهم والانتفاع بهم وسط هذا الكساد الآخذ بأكظام الأدب فى بلادنا ، ولكننى انصرفت بشعرى عن تلك المواقف ، وبرئت إلى نفسى أن آخذ بهذه الأسباب ، على ما أعلم من وعورة مسلكى ، وضيق مضطربى ، وما كنت فى ذلك إلّا جارياً على سنتى فى سياسة نفسى ، وتصريف ما آتى وأدع من أمور الحياة ، فما استظهرت بغير أخ حفىّ ، أو صديق صفىّ ، ولا آثرت أن أهدى ديوانى إلى غير (النيل) ، ذلك الأب الذى وهبنى نعمة الحياة ، وأفاض علىّ هذه المنح والصلات .

فيانيلُ أنت الهـــوى والحياة وأنت الأمـــير وأنت الأبُ
ويانيل أنت الصـــديق الوفىّ وأنت الأخ الأصدق الأطيب
وأنت القريض الذى أقتنى فيزْهى به الشرق والمغربُ
فإن أهب الحصبَ هذه العقول فما سننتَ لهـــا تخصب
وإن أنا أطربت هذه النفوس فصـــوتك لا صوتى المطرب
تسيل فتنـــدفق الرائعات وتجرى فتستبق الجـــوَّبُ

إلى أن قال :

لئن فاتنى الذهب المستفاض فمـــا فاتنى الأدب المذهب
وهبتُك مُلْك القريض العتيـد وذلك أفضـــل ما يوهب

وقد ظهر الجزء الثانى من ديوانه سنة ١٩٢٠ .

دعوة الوطنيـــة

قال يدعو مواطنيه إلى الإخلاص لبلادهم والعمل على استعادة مجدها :

دعا فأثار الساكنـــين دعاؤه ونادى فراع الآمنـــين ندأوه

أخو وصَب ما أن يحم انقضاؤه وذو أرب ما أن يحين قضاؤه
به من بنى مصر عناء مبرّح فياليت شعرى هل يزول عناؤه ؟
أما إنه لو كان يُشفى غليـــلَه بكاء على مصر لطال بكاؤه
تقَسَّمها الأقوام لا ذو حميـــة فيحمى ولا واق فيُرْجَى وقاؤه
وما مصر إلّا موطن نحن أهله عزيز علينا أرضـــه وسماؤه

إلى أن قال يستنكر الاحتلال البغيض ويهيب بالأمة أن تحاربه :

ثوى فيه أقوامٌ مللنا ثواءهم ويارُبَّ ثاوٍ لا يُمَـــلُّ ثواؤه
لقد كان يأبى أن يذلّ لغاصب فياليت شعرى أين ضاع إباؤه ؟
لقد كان يرعاه رجال أعزة بهم من صروف الدهر كان احتماؤه
همُ ناضلوا عنـــه فصانوا ذماره بصارم عزم ما يُردّ مَضاؤه

* * *

بنى وطنى لا تسخطوه عليكُمُ فليس ســواء سخطه ورضاؤه
بنى وطنى خـــلّوا التخاذل إنه بلاؤكم يجتاحـــكم وبلاؤه
سلامٌ عليكم من أخ ذى حمية دعى فأثار الساكنين دعاؤه

لواء الوطنية

وقال يمجد لواء الوطنية ويدعو إلى الالتفاف حوله والتضحية فى سبيله :

فداؤك نفسى من لواء محبب حمى جانبيه كل ماضٍ مدرّب
إذا ما دعى أنصارَه التف حوله جحاجحةٌ[1] من ذائد ومذبب
فمنهم قؤول للصواب مســـدّد يصرِّف صرّاراً له وقع أشطب
يدين له الجبـــار غير معذل ويعنو له المغوار غير مؤنّب

(١) جحاجحة جمع جحجاح : السيد المسارع فى المكارم .

ومنهم فعولٌ للمكارم ماجدٌ ... يلبي نداه كل داعٍ مثـوّب
هم الصحب صانوا للديار لواءها ... وصالوا على أعدائها غير هُيّب
يكرّون كرّ الدارعين إلى الردى ... إذا الحرب أبدت عن عبوس مقطب
إذا طلبوا حقا تداعوا فأجلبوا ... على سالبيه فانثنوا غير خُيّب

إلى أن قال :

وما منع الأوطانَ إلاّ حماتُها ... وذادتُها من ذى شباب وأشيب
همُ ذخرُها المرجوُّ فى كل حادث ... وعُدّتها فى كل يوم عَصَبْصب
سلامٌ عليهم من كهول وفتية ... وبورك فيهم من شهور وغُيّب

كبوة الشرق

وقال تحت عنوان (كبوة الشرق) يستصرخ أهله ليعيدوا إليه سالف مجده :

متى ينهض الشرق من كبوته ... وحتى متى هو فى غفوته ؟
كَبَا وكذلك يكبو الجواد ... براكبه وهو فى حلبته
ونام كما نام ذو كربة ... تملكه اليأس فى كربته
وَهَى عَزْمُه ما يطيق الحراك ... وقد كان كالليث فى وثبته
تجرّ عليه عوادى الخطوب ... كلا كلَها وهو فى غفلته
نواهبُ ما كان من مجده ... سوالبُ ما كان من عزّته

إلى أن قال :

فيالهف قلبي لمجدٍ مضى ... ويا شوق نفسى إلى عودته !
ويالهف آبائنا الأولين ... على الشرق إن ظل فى نكبته
همُ غادروه كروض أريض ... تتوق النفوس إلى نضرته
ونحن تركناه للعاديات ... ولم نرع ما ضاع من حرمته

فأذْهَبْن ما كان من حسنه وأفنين ما كان من بهجته

* * *

فهل يسمع القول أهل القبور خطيبٌ فيسهب فى خطبته
يناديهم فيم هـــذا الرقاد ؟ كفى ما دهى الشرق من رقدته
لقـــد ضاع بعدكمو مجدُه وكل المثالب فى ضيعته
وأنتم رجال ذوو نجـــدة فلا تقعدوا اليوم عن نجدته

يدعو إلى بعث مصر

وقال يذكر مجد مصر الغابر و يدعو مواطنيه إلى النهوض لاستعادة هذا المجد :

أهذى ديار القوم غيَّرها الدهرُ فعوجوا عليها نَبْكها أيها السفر
محى آيَها مرُّ العصـــور وكرُّها إذا مرّ عصرٌ كرّ من بعده عصر
نســـــائلها أين استقلّ قطينها وهل تنطق الدار المعطلة القفر ؟
وكائن ترى من ذى ثمانين خَضّبتْ لطول البكا من شيبه الأدمعُ الحمر
بكى وطنا أودت بسالف مجده حوادث دهر من خلائقه الغدر
أغارت عليه من جنوب وشَمْأل فما برحت حتى أتيح لهـــا النصر

* * *

ألا إنها مصر التى شقيت بنـــا فياويح مصر ما الذى لقيت مصر ؟
مضى عزّها القُدْموسُ[1] ما يستعيده بنوها فلا عزٌّ لديهم ولا فخر
همُ رقـــدوا عنها فطال رقادهم فديتكمو هبُّوا فقد طلع الفجر !

ذكرى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

وقال عن ذكرى احتلال الإنجليز القاهرة يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ :

(١) القدموس : القديم .

نلومك يا يوم النحوس ونعذل وأنت على ما أنت تمضى وتُقبل
فلا نحن ما عشنا عن اللوم نرعوى ولا أنت ما كرّ الجديدان تحفل

إلى أن قال :

لعلك أن تأتى بما تعد المنى نفوسَ رجال أو شكت تململ
لحى الله قوما حمّلونا من الأذى بما ضيّعوا الأوطان ماليس يحمل
همُ خذلوها فاستبيح حريمها وما برحت تبغى انتصاراً فتُخذل

يهاجم الاحتلال

وقال سنة ١٩٠٢ ينعى على الاحتلال بغيه وعدوانه ، وعلى الإنجليز نقضهم للعهود والمواثيق :

فى كل يوم شرعةٌ ونظام ما هكذا الأحكام والحكّام
عشرون عاما والديارُ مريضةٌ تنتابها الأدواء والأسقام
لم يعرف المتطبّبون دواءها فتنوعت فى دائها الأوهام
إن الأُساة لتعلم الداء الذى ترك العليل تذيبه الآلام
ولربما غشّ الطبيب عليلَه حتى يعود الداء وهو عقام
كيف الشفاء لمصر من أدوائها أم كيف يُرجَى عزُّها ويرام ؟
والمصلحون كما علمتَ وأهلُها عنها على زَجْر المهيب نيام

إلى أن قال مخاطبا بريطانيا :

يا دولةً رفعت على أوطاننا علما تُنكّسُ تحته الأعلام
أين المواثيق التى أبرمتِها إن كان منكِ لموثِقٍ إبرام ؟
لم تحفلى بعهودنا فنقضتِها ياهذه ، نقضُ العهود حرام
عشرون عاما ما كَفَفْتكِ وهكذا تأتى وتذهب بعدها الأعوام
طال المقام وأنتِ أنتِ ولم يكن ليطول لولا الجهل منكِ مقام

وقال يهيب بالأمة أن تهبّ للجهاد :

يا أمة خاط الكرى أجفانَها هُبِّي فقد أودت بك الأحلام
هُبّي فما يحمى المحارمَ راقدٌ وامرء يُظلم غافلا ويُضام
هبّي فما يغنى رقادك والعدى حول الحمى مستيقظون قيام
غنموا نفائسه وثَمَّ بقيةٌ ستنيلها أيديهم الأيام

* * *

عجبا لهذا النيل كيف نعقُّه ويدوم منه البرُّ والإكرام ؟
لو كان يجزينا بسوء صنيعنا أودى بهاتيك النفوس أُوام
لكنها رَحِمُ الجدود ولم تزل تُرعى لدى أمثاله الأرحام

* * *

يا آلَ مصر خذوا نصيحة شاعر أبداً يكلف نصحكم ويُسام
لا تغفلوا عنها فليس بغافل عنكم وعنها ذلك الضرغام
شيئان يذهب بالشعوب كلاهما نومٌ عن الأوطان واستسلام
إلاّ يَحِنْ للراقدين قيامُ فعليهمُ وعلى الديار السلام

يدعو إلى البذل والتضحية فى سبيل مصر

من قصيدة له نظمها سنة ١٩٠٤ لمناسبة إنشاء مدرسة محمد على الصناعية بالإسكندرية :

من يُسعد الأوطانَ غيرُ بنيها وينيلها الآمال غيرُ ذويها
ليس الكريم بمن يرى أوطانه نَهْبَ العوادى ثم لا يحميها
ترجو بنجدته انقضاء شقائها وهو الذى بقعوده يشقيها
وتودُّ جاهدةً به دفعَ الأذى عن نفسها وهو الذى يؤذيها
سُبُلُ المكارم للكرام قويمة فعلامَ يخطئها الذى يبغيها ؟
ما أكثر المتفاخرين وإنما فخر الكرام بما حبت أيديها

يحوى الكريم المالَ لا يبغى به شيئاً سوى أكرومة يحويها
والجود يُحمد حيث كان وخيره ما نال أوطان الفتى و بنيها
ولقلما أرضى امرؤ أوطانه حتى تراه بنفسه يفديها

* * *

يا آل مصر وما يؤدى حقها إلّا فتى يكفى الذى يعنيها
هى أمكم لا كان من أبنائها من لا يواسيها ولا يُرضيها
وهَبَتْكم الخيرَ الجزيل فهل فتى منكم بحسن صنيعها يجزيها ؟
سعدت لعمرى بالصنائع حقبةً دلّت على عجل فمن يثنيها ؟
دار الصنائع خير دار تبتنى فالله يجزى الخير من يبنيها

يطعن فى الملوك ، ويستهجن الرتب والألقاب

من قصيدة له بعنوان (الشرف والملوك) ، و إذا عرفت أنه نظم هذه القصيدة ونشرها سنة ١٩٠٨ فى الجزء الأول من ديوانه ، لرأيت أنه أول شاعر وطنى حمل على الرتب والألقاب ، وأول من هاجم الملكية و الملوك بهذه القوة والشجاعة ، فسبق بهذه القصيدة الخالدة عجلة الحوادث بنصف قرن من الزمان ، قال :

كذِب الملوك ومن يحاول عندهم شرفاً ويزعم أنهم شُرَفاء !
رُتَبٌ وألقاب تغرُّ وما بها فخرٌ لحرزها ولا استعلاء
آناً تباع وتارة هى خدعة تُمنى بشر سُعاتها الأمراء
كم رتبة نَعِمَ الغبىّ بنيلها من حيث جلّلها أسى وشقاء
لو كان يعلم ذُلَّها وهوانها ما طال منه الزهو والخيلاء
يَلْقَى الكرامة حيث كان وفعلُه جَمُّ المساوئ والمقال هراء

تلك الجهالة والغرور وباطلٌ ما يصنع الأغرار والجهلاء

* * *

ذنبُ الملوك رمى الشعوب بنكبة جلّى تنوء بحملها الغبراء

لا المجد مجدٌ ما عبثت به أيدى الملوك ولا السناء سناء

مالُوا عن الشرف الصميم وأحدثوا ما شاءت الأوهام والأهواء

رفعوا الطغام على الكرام فأشكلت قِيَمُ الرجال ورابت الأشياء

وإذا الرعاة تنكبت سبل الهدى غوت الهداة وطاشت الحكماء

وإذا الطبيب رمى العليلَ بدائه فبمن يؤمل أن يبلّ الداء ؟

* * *

لو جاور الشرفُ الملوكَ لأورقت صُمُّ الصخور وضاءت الظلماء

ظلمٌ يُبرِّحُ بالبرىء وغلظة يشقى بها الضعفاء والفقراء

الحق منتهكُ المحارم بينهم والعدل وَهْمٌ والوفاء هباء

رفعوا العروش على الدماء وإنما تبقى السفينة ما أقام الماء !

يرثى مصطفى كامل

قال سنة ١٩٠٨ من قصيدة له فى رثاء مصطفى كامل :

ما زلت تقتحم المصاعب مجهدا نفسا موطّنةً على الأهوال

حتى طواك الموت غير مجامل شعبا يجلّك أيما إجلال

أحييته وقتلت نفسك بالذى حمّلتها من فادح الأثقال

هلا رحمت نفوسنا فرحمتها وبقيت تكفينا أذى المغتال

وختمها بقوله :

إن كان قد حُمَّ الفراق فوقفة تشفى نفوسا آذنت بزوال

هيهات ما جزع النفوس لراحل ... سارت به الخدباء غير خيال
سِرْ فالحياة كما علمت رواية ... محتـــومة الأدواء بالآجال

يدافع عن حرية الصحافة ، ويلوم الخديو عباس

قال من قصيدة له سنة ١٩٠٩ ينعى على الحكومة تقييدها حرية الصحافة ، وفيها يوجه اللوم إلى الخديو عباس الثانى فى خذلانه للأمة :

صُبوا المـداد وحطّموا الأقلاما ... واطووا الصحائف وانزعوا الأفهاما !
وخذوا على الوجدان كل ثنية ... واقضوا الحياة مزملين نياما
ودعوا البلاد تذوق من عنت العدا ... ما شاء خادمها الخؤون وناما

* * *

اليوم نُمنع أن نئن لمـــؤلم ... أو نشتكى الإعنات والإرغاما
والله لا ندع الشكاية منهم ... أو يمنعوا الأوصاب والآلاما
كيف القرار على الإساءة والأذى ... أم كيف نكتم فى القلوب ضراما ؟
ومتى رضينا أن نعيش أذلة ... فنطيق مسكنة أو استسلاما ؟

إلى أن قال يخاطب الخديو عباس الثانى و يلومه :

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنا ... أفأصبحَت حرب الغزاة سلاما ؟
الحرب دائرة وجيشك قائم ... ينضى السيوف ويرفع الأعلاما
والملك مضطرب ومصر كعهدها ... تدعو الحماة وتشتكى الأقواما
إن كنت خاذلها ولست بفاعل ... فحماتها لا يخفرون ذماما[1]
أتخون مصر وما تحوّل نيلها ... سمّا وما انقلب الضياء ظلاما
نبغى لها الشرف الأشمّ مؤيدا ... بالبأس يؤيس صرحه الهداما
ونعز رايتها ونمنع حوضها ... ونزيد صادق حبها استحكاما

(١) يقصد بحماتها أبناءها المجاهدين .

عباسُ رأيك فى البلاد وأهلها أن الأذى يستضرم الأوغاما
إن كان عسف فالزمان مؤرخ يحصى لنا الحسنات والآثاما

* * *

قلمى . كتابى . أمتى . وطنى . متى نشفى نفوسا تستطير أواما ؟

يندد بملوك الشرق

من قصيدة له سنة ١٩١٢ بعنوان (الملك الزائل) يندد فيها بملوك الشرق لمناسبة ضياع مراكش بعد توقيع السلطان عبد الحفيظ المعاهدة التى قبل فيها وضع بلاده تحت حماية فرنسا :

هَوَت العروش وزُلْزلت زلزالا عرشٌ هَوَى وقديم مُلكٍ زالا !
رِيعت لمصرعه المشارق إذ مشَى فيها النَّعِىُّ وأجفلت إجفالا
سَلَب المغيرُ حياتَه واستأصلت أيدى الجوائح عِزَّه استئصالا
تَنْجُو الممالكُ ما نجا استقلالُها فإذا اضمحلَّ أعارها اضمحلالا

أين (الخليفة) ما دهاه وما له ؟ أرْضى المغيرَ وطاوع المغتالا

* * *

ما قام شعبٌ نام عنه حماتُه واستشعر التفريط والإهمالا
تأبَى العنايةُ أن تصافحَ أمةً ترضى الهوان وتألف الإذلالا

* * *

قد كان يأنف أن يكون قرينهم ويعدهم لجلاله أمثالا
لعب الغُرورُ به فضيَّع ملكه واعتاض منه مذلة وخبالا
وإذا أراد الله شرا بامرئ تبع الغواةَ وطاوع الجهالا

* * *

أخليفة يعطى البلاد وآخر يهوى القيان ويعشق الجريالا ؟
أغرور مفتون وصبوة جاهل بئس (الخلائف) سيرةً وفعالا

فظائع الإنجليز فى مصر إبان الحرب العالمية الأولى

من قصيدة له سنة ١٩١٨ يندد بفظائع الإنجليز فى مصر إبان الحرب العالمية الأولى :

أيهـــا الجند ظافراً يتمشى ... فى الجماهير معجباً مختالا
يوم غاب الحماة واستصرخت مصـ ... ـر تنادى الرجال والأبطالا
أقتلت الكماة فى الحرب غلبا[1] ... أم قتلت النساء والأطفالا ؟
أنصفى (الظالمين) يا (دولة الفا ... روق) منا وعلمى (الجهالا)
علمينا كيف الحيـــاة نُعـا ... نيها وصونى النفوس والآجالا
خفضى الفتك إننـا قد عيينا ... ولقينا فى ظلك الأهـــوالا
إقبضى ظلك (المحبب) عنـا ... واجعليها عقـــوبة ونـكالا

إلى أن قال يندد بغدر الاحتلال :

ما ذكرنا لكم من الخير شيئاً ... ما رضينا لكم على الدهر حالا
نذكر الحكم ظالماً ما رأينا ... فيه عدلا ولا وجدنا اعتدالا
نذكر العهد سيئاً ما عرفنا ... فيـــه حرية ولا استقلالا
نذكر الشر والبـــلاء جميعاً ... فاذكروا عهدكم وشدوا الرحالا
رصعوا (التاج) بالوفاء وحلوا ... بحلى الصدق (عزه والجلالا)
لا تريقوا دم الضعيف عليـه ... وانظروه من فوقه كيف سالا
أكرموا التاج إنكم إن أبيتم ... زاد فينـــــا مهانة وابتذالا
طال عهد احتلالكم فحسبنا ... أن يوم الحساب يدعى احتلالا

إلى أن قال منذرا الإنجليز بسوء العاقبة :

هل من الله مهرب أو نجاة ... حين يزجى جنوده والرعالا[2]

---

(١) غلبا ، جمع أغلب .
(٢) الرعال : جماعة الخيل .

يأخذ البر والبحار عليكم ويريكم نزاله والدحالا[1]
تلك عقبى الأذى فلا تنكروها جاءكم يومكم فذوقوا الوبالا !

فظائع الإنجليز فى ثورة سنة ١٩١٩

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ يندد بفظائع الإنجليز فى إخماد الثورة وما ارتكبوه من القتل والتنكيل بالأبرياء :

يا سوء ما حمل البريدُ ويا لها من نكبة تدع النفوس شعاعا !
يا ربِّ ما ذنبُ الذين تتابعوا يسترسلون إلى المنون سراعا
جرحى وما حملوا السيوف لغارة صَرْعىَ وما سألوا العدو صراعا
قالوا (الحياة) فعوجلوا أن يقرعوا عند النداء بتائها الأسماعا
(عزريل) نُبِّئ ما أصاب جموعهم فارتاب ثم رآهمو فارتاعا !
مرأى يشق على العيون ومشهد يدمى القلوب ويقصم الأضلاعا
لما أطل الظلم فيه بوجهه ألقى عليه من الحياء قناعا
ودعا (بنيرون الرحيم) فما رنا حتى تراجع طرفه استفظاعا
وصفو المصاب(لدنشواى) فكبرت (للمصلحين) مقابراً ورباعا
واستيقنت أن الأولى نكبت بهم كانوا أبر خلائقاً وطباعا

* * *

يا مصر خطبُك فى الممالك فادح ومصاب أهلك جاوز المُسْطاعا
قومٌ يَروعهم البلاء مضاعفا وتصيبهم نُوَب الزمان تباعا
لاذوا بحسن الصبر حتى زلزلت هوج الحوادث ركنه فتداعى
حملوا القلوب تفور مما تصطلى وتمور مما تحمل الأوجاعا
إن هاجهم طمع الحياة رمى بهم خطب يروّع منهم الأطماعا

---

(١) الدحال : الامتناع .

وإذا أرادوا نهضة نفرت لهم حمر خلا الوادى فكن سباعا

* * *

سفكوا الدماء بريئه وتنمروا يرمون شعباً لا يطيق دفاعا
لم يذكروا إذ نحن نبذل قوتنا ونظل صرعى فى البيوت جياعا
بئس الجزاء وربما كان الأذى عدلا لمن يألو العدو قراعا
جاءوا فقوم يضمرون مودة ورضى . وقوم يظهرون خداعا
فتكافأ الحزبان فى حاليهما ومضت حقوق العالمين ضياعا

إلى أن قال يهيب بالشعب أن يذود عن حقوقه بالمهج والأرواح والإقدام والشجاعة :

لا يستقلّ الشعبُ يترك حقه ويرى البلاد تجارة ومتاعا
يخشى العدوَّ فلا يطيق تشدداً ويهال منه فلا يريد نزاعا
إن الحياة لأمة مقدامةٍ تعيى العدو شجاعة ومصاعا
تزجى إليه من الحفاظ جحافلا وتقيم منه معاقلا وقلاعا
إن شامها فى الحادثات تفرقا عقدت على خذلانه الإجماعا
وإذا أراد بها الهضيمة أرهفت همما يضيق بها الدهاة ذراعا

* * *

يا ربَّ مصر تولَّ مصر وهبْ لها شعباً يريد لها الحياةَ شجاعا
لو سيم يوما أن يبيع بلاده بممالك الدنيا معاً ما باعا !

يرثى فريدا

من قصيدة له سنة ١٩١٩ يرثى محمد فريد :

أترى الكنانة كيف تعبث بالدم الله للشهداء إن لم ترحم !
أدنى المراتب فى الصبابة عندها تلف المحب وطول وجد المغرم

تزجي تحيتها فيكذب دونها أمل المقول ومطمع المتبرم
ضل امرؤ قتلته (مصر) فلم يصن عهد الولاء لها وحق المنعم
معشوقة يجرى مع الدم حبها فى قلب نصرانيها والمسلم
بعثته (مصر) مجاهداً ورمت به فرمت بجيش للفتوح عرمرم
خاض الغمار يهدّ كل كتيبة ويهز رايات الكمى المعلم
متجرداً لله يطلب حقه ويقيم جانب شعبه المتهدم
فإذا القياصر بالأرائك تتقى وإذ الأرائك بالقياصر تحتمى
كل به فزع وكل جازع يبغى القرار ولا قرار لمجرم

إلى أن قال :

يا سيد الشهداء بعد رفيقه أرضيت ربك فى جهادك فاغنم

ليس الذى بدأ الجهاد فلم يمت إلا كبادئ حجة لم تختم
والناس فى شرف الحياة وعزها ضدان من ماض وآخر محجم
وأجل ما رزق الرجال همامة تنفى غرام المطلب المتهجم
تتجشم الصعب المخوف وعندها أن المنية مركب المتجشم
مأوى الممالك والشعوب ومالها وصفوك ظلماً بالغريب المعدم
لك من يقينك ثروة إن قدرت قيست كنوز العالمين بدرهم
إيمان ذى الإيمان أعظم ثروة ويقين ذى الوجدان أفضل منجم
ضج النعاة فضج كل موحد وارتج ما بين الحطيم وزمزم

ثم قال :

يامصر حسبك مارضيت من الأذى وبرئت من ماضيك إن لم تنقمى
إن التى رمت الممالك باعدت بين المضاجع والشعوب النوّم
الأرض تركض بالشعوب حثيثة فامشى على آثارها وترسمى

إن كان قيدك لم يحلّ فإنه خلق المريب وشيمة المتوهم
سيرى فما بك غير تلك وما بنا إلا مراقبة العدى واللوم

* * *

يا نازحاً لم نقض حق بلائه الله جارك فاغتبط وتنعم
وانفض همومك عن فؤادك إننا نلقى الهموم بكل أغلب أضخم
إن المناكبَ والنفوس بأسرها لفداء (مصر) من المهم المؤلم
ماذا حفظت لأهلها من حرمة وقضيت من حق عليك محتم
حيتك (مصر) على البعاد فحيها ودعت مسلمة عليك فسلم
جاوزت حسن الصنع فى خدامها وكفيت سوء الذكر من لم يخدم
كذب المضلل لن ينالك سعيه إلا إذا نال السماء بسلم
أقسمت مالك فى جهادك مشبه والحر مؤتمن وإن لم يقسم
ما زلت تسرف فى المغارم دائباً حتى جعلت النفس آخر مغرم
أى القواضب بعد ما قطع الظبا ولوى الأسنة فى الوغى لم يثلم
رددت صوتى فى الرثاء وإنما رددت من صوت الكنانة فى فمى
حيتك فى الملأ العلى وأزلفت حور الجنان إليك شعر (محرم)
أسفى لأوبة راحل لم تقضها عدة المنى وتحية لم تنظم

ذكرى فريد

وقال سنة ١٩٢٢ فى ذكرى محمد فريد :

ألا فاذكروا من قومنا كل مقدام ففى هذه الذكرى حياة لأقوام
وما الناس إلا الخالدون على البلى وصرف الليالى من هداة وأعلام
همُ ثروة الأجيال لولا هم انطوت على فاقة ما تستطاع وإعدام

إذا المرء لم يعمل لما بعد يومه طوى كل حيٍّ ذكره بعد أيام

* * *

سلامٌ على الحيّ المقيم وإن طوى إلى المنزل الأقصى ثلاثة أعوام
على الكوكب الطافي على لُجّة الردى إذا ما طوى الأقمار طوفانه الطامي

* * *

ألا فاذكروا الأبطال وابتدروا الوغى وكونوا أولى بأس شديد وإقدام
هي الوثبة الأولى وان وراءها لما يستجيش الوثب من كل ضرغام

* * *

وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له فى ذكراه :

جددوا الذكرى لأهل المشرق وصِفوا المجدَ لشعب شيّق
يعشق المجد فان لجّت به لوعة الوجد تنحىّ يتّقى
عَلّموه كيف يقضى حقّه نابه الوقف حرّ المصدق
وأروه السبل ناراً ودماً من يَهبْ فيها المنايا يصعق
مزّقوا الأوهام عنه إنه ليظنُّ السبلَ من إستبرَق

إلى أن قال :

يا (شهيد النيل) لو ناجيته لشفاه منك عذبُ المنطق
شاقه الصوت البعيد المرتمى والمقام الكسروى الرونق
وشجاه أن يرى صمصامه غير وضاح السنا فى المأزق
جاشت الأحداث تستقصى المدى وارتمت من كل صوب تلتقى

إلى أن قال يندد بانقسام الأحزاب و بمساوئ الحكم القائم وقتئذ (نوفمبر سنة ١٩٢٥) حكم الرجعية والسراى :

سائل الأحزاب ماذا عندها غير ترجاف وهَمٍّ مقلق
وتأمل هل ترى اليوم سوى دولةٍ فوضى وحكمٍ أخرق

فات (نيرون) رجال رزقوا من فنون الظلم مالم يرزق
لو جرى (فرعون) أو (هامانه) يتعاطى شأوهم لم يلحق
سجنوا الدستور طفلا ناعما واستبدوا بالسجين الموثق
لاجرى (النيل) على الوادى ولا بورك الشعب اذا لم يُطلقِ

* * *

تلك ذكرى (النيل) للنفس التى عكف (النيل) عليها يستقى
هى عينٌ من حياة عذبة فى يفاع من سناء مشرق
فزعت مصر إلى أبطالها فالبس النقع وسِرْ فى الفيلق
سائل القوم أما من غضبة لذمام صادق أو موثق
لا أرى النجدة إلا فى الأُولَى هم أولو العهد الأبر الأصدق
ننصر الله ونحمى أمة نحن منها فى الصميم المعرق
همة المقدام من آلائها وبيان العبقرى المفلق

الحالة السياسية سنة ١٩٢٥

فى سنة ١٩٢٥ عين اللورد جورج لويد معتمدا (مندوبا ساميا) لبريطانيا فى مصر خلفا للمارشال أللنبى الذى استقال من منصبه ، وقد حضر المعتمد الجديد إلى مصر فى أكتوبر سنة ١٩٢٥ ، فنظم أحمد محرم قصيدة يخاطبه فيها ويحذره مغبة السياسة الاستعمارية ، وفيها يندد بانقسام الزعماء وتنكبهم سبيل الإخلاص والسداد ، ويهيب بالأمة ألا تقع فى شراك الاستعمار ومناوراته ، وأن تصمد فى الجهاد . قال :

أتسأل مصر ما حمل (العميد) وهل عند الرماة لها جديد ؟
هو السهم الذى عرفته قدما وجرّبَ وقْعَه الشعب الوئيد
تمرد مبدئ وطنى معيد ولم تزل الرمية تستزيد
(مسيح الهند) إن بمصر شعبا يشق عليكَ إن خضع الهنود

فما نظر المسألة أين تبغى ولا عرف المساوم ما تريد
دع الزعماء إن لهم لَدِيناً يدين بغيره الشعبُ الرشيد

إذا ذكروا الزعامة فهى دعوى يكيد بها (الكنانة) من يكيد
ولا تبقى البلاد إذا أصيبت بمن يبغى الزعامة يستفيد
لمن تتألب (الأحزاب) شتى وما هذى الصواعق والرعود ؟
تداعوا للوغى فهوى صريعا على أيديهم الوطنُ الشهيد

مضت أسلابُه تُزجَى إليهم فمأتمه لدى الأقوام عيد
إذا ساد التخاذل فى أناس فأعْوزُ ما ترى شعبٌ يسود

إلى أن قال :

عميدَ (الغاصبين) نزلت أرضا يبيد الغاصبون ولا تبيد
يذود الواحد القهار عنها إذا قهرت جنودك من يذود
أتذكر إذ لقومك ما أرادوا وإذ (لكرومر) البطش الشديد
تطوف جنوده فتصيد منا ومن سرب الحمائم ما تصيد
أتذكر (دِنشواى) وكيف كادت جوانبها بأهليها تميد
تضج من العذاب ولا سبيلٌ إلى غير العذاب ولا مَحِيد

إلى أن قال مشيرا إلى طغيان كرومر وكيف أكرهته مصر على الاستقالة من منصبه :

سيوف الجند مظهر كل حق ورأى (كرومرَ) الرأى السديد
أتذكر إذ نعاتبه فيطغى ويهدر فى مقالته الوعيد[1]
أخذناه بقارعة ألَحَّتْ عليه فزال واشتفت الكبود
صدعنا ركنَه فانقضَّ يهوى وذاب الصخر أجمع والحديد
هوى جبلٌ من العدوان عالٍ وزلزل للأذى صرحٌ مشيد

(١) يشير إلى خطبته سنة ١٩٠٧ قبيل رحيله عن مصر وقد توعد فيها المصريين ببقاء الاحتلاء .

ونحن القائمون بحق مصر إذا ما استسلم القوم القعود
ونحن المقبلون على المنايا إذا الأبطال كان لهم صدود
نضن بمصر إن عدت العوادى ولكنا بأنفسنا نجود
هى الذمم المصونة والعهود فما يبغى (كرومرُ) أو (لُويدُ)

* * *

أخا (السكسون) هل نبئت أنا جلاوذة لقومك أو عبيد
لقد كذبوا عليك فليس فينا لمن يبغى الهضيمة مستقيد
إذا سعت (الوفود) اليك فاحذر عواقب ما تقول لك (الوفود)
فما أحد بمالك أمر مصر وما بالشعب جبنٌ أو جمود
مضت دنيا القيود وتلك دنيا تُذَمُّ بها وتُحتقر القيود
حمينا ما حمى الآباء قدما وصان لنا وللنيل الجدود
بلاد ما تباع وباقياتٌ من الآثار معدنها الخلود

يدعو إلى اليقظة السياسية ، و يندد بالتراخى فى الوطنية

قال سنة ١٩٢٧ من قصيدة له فى (الشعر السياسى) :

تسعى الشعوب ونحن فى غفلاتنا نأبى الفعالَ ونكثر الأقوالا
ركبوا متون العاصفات وشأننا أن نركب الأوهام والآمالا

* * *

يا باعثَ الموتى ليوم معادها تنساب من أجداثها أرسالا
أعد الحياة لأمة أودت بها غفلاتها فثَوَت سنين طوالا
وأضىء لها سُبُل النجاة ليهتدى من زاغ عن وضْح الطريق ومالا
وتولّها بالصالحات ولقّها منك الأمان ووقها الأوجالا

obeikandl.com

وامنُن عليها من لدنك بقوة ... توهى القيود وتصدع الأغلالا
واجمع على صدق الإخاء فضاضنا ... فلقد تفرق يمنة وشمالا
أودى بنا بين الشعوب تباغض ... صدع القلوب ومزّق الأوصالا
تستفحل النكبات بين ظهورنا ... ويزيد معضل دائنا استفحالا
الله يحكم فى الممالك وحده ... ويصرّف الأقدار والآجالا

إلى الشعب

وقال سنة ١٩٢٧ فى هذا المعنى موجها الخطاب إلى الشعب :

ادفع بنفسك لا تكن متهيبا ... ما اعتز فى الأقوام من يتهيّب
شرف الحياة وعزها لمغامر ... يمضى فلا يلوى ولا يتنكب
اشرع لأمتك الحياة و لا يكن ... لك فى حياتك غير ذلك مأرب

* * *

مصر الحياة وحبها الشرف الذى ... بطرازه الغالى أدل وأعجب
نفسى وما ملكت يداى لأمتى ... وسراة آبائى ومن أنا منجب
أبنىّ إنك للبلاد و إنها ... لك بعد والدك التراث الطيب
شمّر إزارك إن نُدبت لنصرها ... إن الكريم لمثل ذلك يندب
ما المرء إلا قومه و بلادُه ... فانظر إلى أى المواطن تنسب
ليس التعصب للرجال معرّة ... إن الكريم لقومه يتعصب
للمرء من شرف العشيرة زاجر ... ومن الخلال الصالحات مؤدب

حكم التاريخ

مِنْ أنعُم التاريخ أن حسابه ... حق وأن قضاءه لا يُشجب
تقف الخلائق تحت راية عدله ... فيقام ميزان الحقوق ويُنصب

فى موقف جلل تجيش جموعه فيداس فيـــه متوّجٌ ومعصّب
ملك الزمان فما لعصر موئلٌ يحميه منـــه وما لجيل مهرب

يخاطب النيل

يا نيل والموفون فيـــك قلائل ليت الزعاف لمن يخونك مشرب
قُتل الوفاء فما غضبتَ وإنما يحمى الحقيقة من يغار ويغضب
تهب الحيـــاة له وليس لقاتل فى غير حكمك من حياة توهب
مَن لى بشعب فى الكنانة لا القُوَى تنشق منه ولا الهوى يتشعب
متألب يبغى الحيـــــاة كأنه جيش على أعدائه يتـــألب
أين الرجال العـاملون فإنما تبقى الممالك بالرجال وتذهب

وطن يعذب فى الجحيم

فلسطين الشهيدة

من قصيدة نظمها سنة ١٩٣٨ عن مأساة فلسطين .

لَبَّيْك يا (وطن الجهاد) ومرحبا لبيـك من داعٍ أهابَ وثوَّبا
لبيك إذْ بلغ البلاء وإذ أبى جـــدُّ الزمان وصَرْفه أن نلعبا
من ذا يرى دَمَهُ أعزَّ مكانةً من أن يُخَضبَ من (فلسطين) الرُّبَى
وطنٌ يُعَذَّبُ فى الجحيم وأمَّةٌ أعزِزْ علينا أن تُصابَ وتُنكبا
بقلوبنا الحرّى وفى أحشـــائنا ما شَبَّ من أشـجانها وتلهَّبا
وبنـا من الألم المبرِّح ما بهـا وأرى الذى نَلْقَى أشـدَّ وأصعبا
نتجرَّع البـلوى وندَّرع الأسى نرعى لإخوتنـا الذِّمام الأقربَا
إنا لنعـــــلم أن آكل لحمهم سيخوض منـا فى الدماء ليشربا

جعلوا الكفاح عن العروبة حرثهم وتعهـــدوه فكان حرثاً طيبا

يَسْقون ما زرعوا دماً فى مخصب ... لولا الدمُ الجارى لأصبح مُجدبا
(البيتُ) يَطْرَبُ من أنين جراحهم ... أرأيت فى الدنيا أنيناً مطربا ؟

وقال يحمل ساسة بريطانيا وأمريكا مسئولية مأساة فلسطين :

إن الذى زعم السلام مُرادُه ... جعل الدماء سبيله والمركبا
إن كان قد غَمَرَ الزمانَ وأهلَه ... كذباً فمن عاداته أن يكذبا
أرأيت إذ سكب الدموع غزيرةً ... يأبى الحياء لمثلها أن يُسكبا
متصنِّعٌ باسم الضعيف يُرِيقُها ... وهو الذى تَرَكَ الضعيف مُعَذَّبا
ما كان أصدق نُسْكه لو أنه ... رَحِمَ البرىءَ ولم يُحابِ المذنبا
يَهْذِى بذكر العدل فى صلواته ... أرأيت عدلا بالدماء مُخَضَّبا ؟

وقال يهيب بالأمم العربية أن تهب لنجدة فلسطين :

رُسُل العروبة هل أسيتم جُرحَها ... ما باله استعصى وماذا أعقبا ؟
جُرْحٌ تقادم عهده وتفتحت ... أفواهه تدعو الأُساةَ الغُيَّبَا
أنتم أُساةُ الجُرح فاتخذوا له ... من طِبِّ شيخ أُساتكم ما جرَّبا
وصفَ الدواءَ لكم وخَلَّفَ عِلْمه ... فيكم فأين يريد منكم من أبى ؟

* * *

يا قومُ لستم بالضعاف فغامروا ... وخذوا مطالبكم سراعاً وُثَّبا
أفما كفاكم قوةً من دينكم ... ما جَمَّعَ الإيمان فيه وألَّبا
يا (آلَ يَعْرِب) مَنْ يريني (خالدا) ... يُزْجِى الحميس ويستحث المِقْنَبا
من شاء منكم فَلْيَكُنْهُ ولا يقلْ ... ذهب القديمُ ، فإنه لن يذهبا
السِّرُّ باقٍ والزمانُ مجدَّدٌ ... والسيفُ ما فقد المضاء ولا نَبا

* * *

رُدُّوا المظالم عن محارم أمة رَدَّت ظنون ذوى الجهالة خُيَّبا
لم يُعْطِ أوطانَ العروبة حَقَّها من كان يطمع أن تُباعَ وتوهَبا

يشفق على الفلاح

ومن قصيدة له بعنوان (رحلة عابسة) سنة ١٩٤٠ ، وقد مر ببعض القرى وتحركت شاعريته إشفاقاً على الفلاح . قال :

وَيْلى على فلاح مصر أما كَفَى ما ذاق من عنتٍ ومن إرهاق
يُغنى ألوف المترفين بماله ويعيش فى فَقْرٍ وفى إملاق
سبحان من شرع السبيل لخلقه أكذا يكون تفاوت الأرزاق ؟